

خطة الفصل الثاني :

المبحث الاول : التعريف بالروائي الطاهر وطار

1. مولده
2. تعليمه
3. ما قاله النقاد
4. محطات حياته
5. مؤلفاته
6. وفاته

المبحث الثاني : التناس الادبي في رواية الدهاليز والشمعة

1. التناس مع التراث العربي الإسلامي : شخصيات إسلامية

المبحث الثالث: التناس مع التراث الإنساني : الأسطورة والتراث الشعبي

1. التناس مع الحكمة والاعنية الشعبية

2. التناس مع التراث الشعبي : المثل

المبحث الاول : التعريف بالروائي الطاهر وطار

1. مولده :

في 15 أغسطس 1936 ولد الأديب الطاهر وطار في بيئة ريفية وأسرة أمازيغية تنتمي إلى عرش الحراكمة الذي يتمركز في إقليم يمتدّ من باتنة غربا (حركة المعذر) إلى خنشلة جنوبا إلى ما وراء سدراتة شمالا وتتوسطه مدينة الحراكمة : عين البيضاء،

2. تعليمه:

التحق بمدرسة جمعية العلماء التي فتحت في 1950 فكان من ضمن تلاميذها النجباء. أرسله أبوه إلى قسنطينة ليتفقه في معهد الإمام عبد الحميد بن باديس في 1952. انتبه إلى أن هناك ثقافة أخرى موازية للفقهاء ولعلوم الشريعة، هي الأدب، فالتهم في أقل من سنة ما وصله من كتب جبران خليل جبران ومخائيل نعيمة، وزكي مبارك وطه حسين والرافعي وألف ليلة وليلة وكليلة ودمنة. ق بتونس في مغامرة شخصية في 1954 حيث درس قليلا في جامع الزيتونة. في 1956 انضم إلى جبهة التحرير الوطني وظل يعمل في صفوفها حتى 1984. تعرف عام 1955 على أدب جديد هو أدب السرد الملحمي، فالتهم الروايات والقصص والمسرحيات العربية والعالمية المترجمة، فنشر القصص في جريدة الصباح وجريدة العمل وفي أسبوعية لواء البرلمان التونسي وأسبوعية النداء ومجلة الفكر التونسية. استهواه الفكر الماركسي فاعتنقه، وظل يخفيه عن جبهة التحرير الوطني، رغم أنه يكتب في إطاره . نال جائزة الشارقة لخدمة الثقافة العربية لعام 2005

3. ما قاله النقاد:

اعتبر الروائي واسيني الأعرج الطاهر وطار علامة ثقافية كبيرة مؤثرة ومؤسسة مشيرا إلى أن هذا الحض يكتب لمجموعة قليلة من الكتاب ودعا واسيني الأعرج إلى الاهتمام بالمادة الإبداعية التي تركها وطار ونقلها إلى الأجيال وترسيخها في المخيال الثقافي العربي والعالمية ، وأضاف واسيني قائلا : " لقد كان الروائي طاهر وطار حاضرا دائما في نقاشاته

قد نختلف وقد نتفق و أحسن شيء فيه أنه لم يصمت أمام الأحداث سواء الأحداث السياسية التي مرت بها البلاد أو حتى القضايا الثقافية وما يبقى من وطار - وكلنا نمضي في هذه الرحلة - هو هذه القدرة الخلاقة الإبداعية المتنوعة، بحيث أنه كتب في القصة القصيرة أولاً وكان من الأوائل مع المرحوم دودو وغيره من الكتاب القصصيين الجزائريين ولكنه كان بامتياز الأب المؤسس للرواية الجزائرية المكتوبة باللغة العربية .

ومن جهته اعتبر رئيس المجلس الأعلى للغة العربية الدكتور العربي ولد خليفة الطاهر وطار من أبرز المثقفين الذين دافعوا عن اللغة العربية من خلال الإبداع بها مؤكداً أنه حمل هموم وطنه ومجتمعه وعكسها في كل ما قدمه من مؤلفات .

وقال الشاعر عز الدين ميهوبي إن رحيل وطار خسارة كبيرة على الصعيد الثقافي والصعيد الإنساني بالنظر إلى ما تميز به من قيم ،وأكد ميهوبي أن وطار كان حاملاً لمشروع ثقافي حيث سعى جاهداً إلى إرساء ثقافة الاختلاف ، وأبرز ميهوبي موضحاً : عمي الطاهر من الأدباء الذين ترجمت أعمالهم إلى لغات كثيرة وكان من الأوائل الذين قدموا الأدب الذي يعكس التحولات التي شهدتها الجزائر بعد الاستقلال و قد حدد في مذكراته علاقته بالدين والمجتمع والسياسة ، وادعوا الجامعات إلى الاهتمام بأدب الطاهر وطار الذي كان مؤسسة ثقافية ، وأعرب مدير المسرح الوطني أحمد بن قطاف عن أسفه لرحيل وطار وأكد أنه تميز بتواضعه وبحبه الكبير لوطنه واعتبره رائداً من رواد الثقافة والفكر في بلادنا وتأسفت الأديبة زهور ونيسي لرحيل الروائي طاهر وطار واعتبرته مؤسس الرواية الجزائرية باللغة العربية بدون منازع ودعت الأجيال القادمة إلى الاهتمام بالأعمال التي تركها الروائي ، ووصف الشاعر عمار مرياش الأديب الطاهر وطار بالشخصية النادرة في الأدب الجزائري حيث كان له حضوره القوي والتميز، و من جهته اعتبر الشاعر سليمان جوادي رحيل وطار خسارة كبيرة للمشهد الثقافي العربي الذي كان أحد صانعيه وقال الشاعر ناصر الدين باكرية إن عمي الطاهر خلف برحيله فراغاً كبيراً على المستوى الثقافي والإنساني معتبراً أن الذين كانوا يختلفون معه يقرون له بذلك الثبات الدائم والمستمر على مواقفه أخلاقياً وثقافياً وحتى

سياسيا" . ووصف الناقد بن يوسف بن جديد رحيل طاهر وطار بالمصاب الجلل بالنسبة لكل الجزائري وأضاف قائلا : "لقد ناضل بكل إصرار وأعطى حياته للجزائر كنت أرى فيه هذه البلورة التاريخية في حزب جبهة التحرير والثورة الجزائرية كان إنسانا صبورا وجريئا يعمل باستمرار من الساعة الثامنة صباحا حتى الخامسة مساء في جمعية الجاحظية ، ختم أعماله برواية "قصيد في التذلل" لأنه كان لا يحب التذلل

وقالت الشاعرة فوزية لارادي إن الجميع يدرك ماذا قدم وطار للساحة الثقافية التي تخلى عنها الكثير في وقت ما وأضافت مبهشة : " الجاحظية لم تكن بالنسبة له جمعية ثقافية وإنما كإبن ينميه ليكبر وليعطي لهذا البلد أشياء كثيرة.. حتى وهو على سرير الموت بقي أديبا ومتقفا كبيرا

4. محطات حياته :

- عمله في الصحافة

عمل في الصحافة التونسية: لواء البرلمان التونسي والنداء التي شارك في تأسيسها، وعمل في يومية الصباح، وتعلم فن الطباعة .
أسس في 1962 أسبوعية الأحرار بمدينة قسنطينة وهي أول أسبوعية في الجزائر المستقلة .
أسس في 1963 أسبوعية الجماهير بالجزائر العاصمة أوقفها السلطة بدورها .
في 1973 أسس أسبوعية الشعب الثقافي وهي تابعة لجريدة الشعب، أوقفها السلطات في 1974 لأنه حاول أن يجعلها منبرا للمثقفين اليساريين .

- عمله السياسي

من 1963 إلى 1984 عمل بحزب جبهة التحرير الوطني عضوا في اللجنة الوطنية للإعلام مع شخصيات مثل محمد حربي، ثم مراقبا وطنيا حتى أحيل على المعاش وهو في سن 47. شغل منصب مدير عام للإذاعة الجزائرية عامي 91 و1992 عمل في الحياة السرية معارضا لانقلاب 1965 حتى أواخر الثمانينات. اتخذ موقفا رافضا لإلغاء انتخابات 1992 ولإرسال آلاف الشباب إلى المحتشدات في الصحراء دون محاكمة، ويهاجم كثيرا عن

الفصل الثاني : التناس الأدبي في رواية الشمعة والدهاليز

موقفه هذا، وقد همش بسببه. كرس حياته للعمل الثقافي التطوعي وهو يرأس ويسير الجمعية الثقافية الجاحظية منذ 1989 وقبلها كان حول بيته إلى منتدى يلتقي فيه المثقفون كل شهر .

-يقول إن همه الأساسي هو الوصول إلى الحد الأقصى الذي يمكن أن تبلغه البرجوازية في التضحية بصفتها قائدة التغييرات الكبرى في العالم .

ويقول إنه هو في حد ذاته التراث. ويقدر ما يحضره بابلو نيرودا يحضره المنتبى أو الشنفرى . كما يقول: أنا مشرقى لي طقوسي في كل مجالات الحياة، وأن معتقدات المؤمنين ينبغي أن تحترم¹.

-كنت أركز قبلاً على الإبداع باعتباره أهم ما يمكن تركه للناس. لكنني أحسستُ بالظلم، عندما قال بعضهم إنّ وطار صنّاعة للنظام الشمولي أيام بومدين، وصنّاعة الحزب الواحد. وقالوا إنني تخليت عن يساريتي. لكنّ الجميع يعرف أنني شاركتُ في ثورة التحرير، وتركت دراستي، ولم استثمر هذا الأمر. لذا حاولت في الجزء الأول من مذكراتي أن أقدم ما يشبه المقدمات: من أنا؟ ما هي مكونات الروحية والفكرية؟ حاولت أن أشرح معاناتي

5. مؤلفاته :

المجموعات القصصية

-دخان من قلبي تونس

-الطعنات الجزائر

- الشهداء يعودون هذا الأسبوع "ترجم

6. المسرحيات

-على الصفة الأخرى (جلة الفكر تونس أواخر الخمسينات).

¹محمد الطيب ، الطاهر وطار : تجربة الكتابة الواقعية : الرواية نموذجاً : دراسة نقدية، دار الهدى للنشر والتوزيع، الجزائر ، 2012م، ص36.

-الهارب (جلة الفكر تونس أواخر الخمسينات)

7. الروايات

- "-اللاز "ترجم
- "-الزلزال ترجم
- "-الحوات والقصر " ترجم
- "-عرس بغل " ترجم
- العشق والموت في الزمن الحراشي
- تجربة في العشق
- رمانة
- الشمعة والدهاليز
- "-الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي "ترجم
- الولي الطاهر يرفع يديه بالدعاء

8. الترجمات

-ترجمة ديوان للشاعر الفرنسي فرنسيس كومب بعنوان الربيع الأزرق
سيناريوهات

مساهمات في عدة سيناريوهات لأفلام جزائرية

9. التحويلات

- حولت قصة نوة من مجموعة دخان من قلبي إلى فيلم من إنتاج التلفزة الجزائرية نال عدة جوائز
- حولت قصة الشهداء يعودون هذا الأسبوع إلى مسرحية نالت الجائزة الأولى في مهرجان قرطاج .
- مثلت مسرحية الهارب في كل من المغرب وتونس .

الفصل الثاني : التناص الأدبي في رواية الشمعة والدهاليز

غات المترجم إليها

الفرنسية. الإنجليزية، الألمانية، الروسية، البلغارية، اليونانية، البرتغالية، الفيتنامية، العبرية، الأوكرانية.... الخ

10. وفاته

توفي في 12 أغسطس 2010

المبحث الثاني : التناص الأدبي في رواية الدهاليز والشمعة

الرواية أشد الأجناس الأدبية التصاقا بالحياة وبعمق المجتمع ، تميل إلى التجريب الفني في محاولة تجديد التوظيف لعناصرها .

التناص هو محاوراة النصوص واستنطاقها من خلال الوعي بالتراث وهذه المحاوراة تولد بنى جديدة يتكون منها خطاب الرواية . التناص هو الانفتاح على القيم التاريخية واستعادتها

بوعي شديد في ضوء الحاضر الأمر الذي يمنح المتلقي تمثلا مباشرا لهذا الخطاب 1.

فإذا كان الروائي يسعى إلى تحليل الواقع ويعمل على الطرح الإيديولوجي ضمن تشكيل فني ، ليصل إلى إجابات ثقافية وسياسيا 2 . فالى أي مدى يمتلك الروائي وعيا قائما يحرك الوعي الفني بناء على النصوص التراثية .

2. التناص مع التراث العربي الإسلامي : شخصيات إسلامية

يعرج وطار في روايته على مرحلة تاريخية واجتماعية مع بداية التسعينات والتي تمثل التناقض والنزاع الفكري والثقافي وقيام جدلية التقليد والحداثة وعلاقة الماضي بالحاضر، صراع الأجيال ويمثل ذلك بالتالي: لقد استيقظ الشاعر في سكون الليل، تمزقه أصوات، يخرج ليعرف ما يجري "هؤلاء جماهير كادحة ... ماذا يفعلون بصدد ماذا هم الآن ؟" 3.

1مصطفى عبد الغني قضايا الرواية العربية في نهاية القرن العشرين ، الدار المصرية ، ط 1 ، 1999 ، ص 97.

2المرجع نفسه ، ص 102.

3الطاهر وطار، الشمعة والدهاليز، دار المعارف للنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، 2002م، ص18.

فهو يطرح إشكالية الهوية الثقافية بشكل فني ومنطقي لأن وطار يريد البحث عن جذور الأزمة الجزائرية، بتفصيل الواقعة عن طريق التراث، ليفكك غموضها، إنها قصيدة التعبير عن التطابق؛ تطابق تاريخي وواقعي، المتخيل والحقيقي¹.

ولا يعني التطابق إلا عمق الصلة الرابطة بين التاريخ والواقع إنها تناصات وتقاطعات تدل على الصراع من أجل هذه الحياة أو صراع من أجل الخروج منها.

فيتناص الروائي مع التاريخ الإسلامي، في مراحل بداية الدعوة والزمن الأول للإسلام، حيث تحضر شخصية "عمار بن ياسر" التي تمثل التيار الديني.

إن وطار يكشف عن أزمة الفكر وربط الهوية والثقافة بالتعصب الديني والرجوع إلى التراث تشبثاً لا تمييز فيه، بل يغيب الفهم الصحيح.

فهذه الجماعات ترى بأن الرجوع إلى التراث هو الأساس في الاحتفاظ بهويتها، وما هذا الهدام إلا دليل على أفكارهم يقول عمار : (نعلم عن أنفسنا بلباس يخصنا وحدنا ذكورا وإناثا يلتحي رجالنا ويغطون رؤوسهم ويخرجون إلى الشارع متحدين الجميع معلنين أننا هنا لا نخشى لومة لائم، متأهبون لسخرية الساخرين، للموت، للسجن، لكل المصائب)².

لقد كان في تناصه مع التاريخ في هذه الجزئية من شخصية "عمار بن ياسر" تناصاً تخالفياً، حيث يفرغ هذه الشخصية من دلالاتها التاريخية المتعارف عليها ويضفي عليها صفة ثورية، مناهضة للحكم.

لأن شخصية عمار بن ياسر في التاريخ متفائلة؛ لأنها تمتلك العقيدة الصحيحة، والقناعة الموضوعية وأدلة منطقية على الإيمان بالدين الجديد، والغوص في العالم الجديد، ويؤمن "عمار بن ياسر" بأن القيادة تمثل جميع الشروط لنجاح الحركة.

¹سعید يقطين، الرواية والتراث السردي، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1992، ط1، ص51.

²الطاهر وطار، الشمعة والدهاليز، المرجع نفسه، ص87.

ورغم أن وطار أعطاه صفة الريادة والقيادة في الرواية، إلا أنه لم يبد تفاؤلاً لعدم تكامل الشروط العلمية لنجاح الحركة، لأن عمار بن ياسر وجماعته يمثلان عنصرين متناقضين، حيث إن القيادة "عمار" (في الثلاثين، مهندس في النفط، قيادي في الحركة يناصر العقل والاعتدال، ويبغض الجهل والتطرف، اسمه الحركي عمار بن ياسر. وهو جد مسرور بملاقاته للشاعر 1.

إلا أن الأفراد الذين ينتمون إلى الحركة يقول الروائي: (كان الملتحون مسلحين وكانت فوهات الرشاشات الأوتوماتيكية موجهة إلى صدره ورأسه، شعر بالضيق الكبير، خاصة من منظر البنادق التي لم يكن يتمنى أبداً أن تكون بين أيدي أمثال هؤلاء الشبان ...). 2.

فذلك فتناصاته جاءت تخالفية، لأن الكاتب برؤيته الفكرية الثاقبة يقدم لنا شخصية عمار محبطة لا تملك كل الفناعات بالأفراد الذين انضموا تحت قيادته، قلوبهم متفرقة لا يملكون روح الوحدة (آه لو أن الخطر يأتي من الخصوم وحدهم جماعتنا بدورهم شتات، شعوب وقبائل، الجهل وضيق الأفق) 3. كل هذه المقدمات التي يقدمها الشاعر تنبئ بفشل الحركة مستقبلاً ولذلك فهو يقول: (أقول لكم ولغيركم إن هذا اللحم ينبغي أن لا يتحطم على الأقل بهذا الشكل الغبي) 4.

إنه شكل العنف والسلاح والموت، الذي يرفضه الروائي، لأن هذه الحركة قد خالفت بداية الدعوة في التبليغ باللسان والمجادلة والحوار والكلمة الطيبة.

وتمثل شخصية عمار بن ياسر الشخصية المضادة لشخصية الشاعر، لأنها تحلم بإقامة دولة دينية تعيش الثقافة التراثية ومحايدة عن باقي أنواع المعارف والثقافات ولكن الشاعر

1المصدر نفسه، ص27.

2الطاهر وطار، الشمعة والدهاليز، المرجع نفسه، ص22.

3لمصدر نفسه، ص92.

4المصدر نفسه، ص24.

يدرك أن هذا سيفتح دهاليزا أخرى. (إن من جملة السرايبب الزعم بامتلاك الحقيقة من طرف واحد)1.

لقد كانت تنبؤات وطار تتقاطع مع التاريخ الإسلامي من خلال سير حركته، وكان يعلم أن إقامة دولة إسلامية لا يتأتى بين عيشة وضحاها، وهذا الفشل أيضا سببه أفراد الحركة وهو عدم توحيد النبع الذي يستقي منه هؤلاء، وأيضا طريقة التلقي لهذا النبع. إن الحركة لا ترسم منهاجا تتبعه، إن الجيل الأول لعمار بن ياسر التاريخي فهم المنهج الذي يقرن بين العلم والعمل، وإنه جيل توحيد في النبع الذي يتلقى منه2.

إن أفراد الحركة لم يسجلوا إلا جملا إيديولوجية (الخلافة الإسلامية، الدولة الإسلامية، الحكم الإسلامي، الجمهورية الإسلامية)3، بدون أي حوار حول الدلالات الفكرية والسياسية والمعرفية لتطور هذه التعبيرات وارتباطها مع التراث والتاريخ الإسلامي. إنه الجهل بعلاقات الأفكار بالتاريخ، وصراعات المجتمعات على السلطة4.

لقد أدرك الشاعر أن البناء القاعدي للجماعة وللحركة لم يأخذ وقته الكافي مثلما أخذه عمار بن ياسر وأصحابه، يقول وطار: (فكر الشاعر أن يسأل، كيف تم الأمر، بمثل هذه السرعة ؟ ولقد كانت كل الفرضيات تستبعد حدوث هذا، لكن ها هو يحدث)5.

إن بناء النفوس والجماعات يستغرق في العمق والتثبيت، لأن الأفراد يترجمون هذا النضوج، إن تناصات وطار تكشف عن دراية بالتاريخ، وبتاريخ الحركة وبتاريخ الأفكار على الأخص

1المصدر نفسه، ص25.

2السيد قطب، معالم في الطريق، دار الشروق، بيروت، ط9، 1982، ص17.

3الطاهر وطار، الشمعة والدهاليز، المرجع السابق، ص23

4 عمار بلحسن، من تسييس الثقافة إلى تثقيف السياسة، مجلة التبئين الجاحظية، الجزائر، ع4، 1992، ص15.

5الطاهر وطار، الشمعة والدهاليز، المرجع السابق، ص29.

ومعرفة بطبيعة الجيل الأول وطبيعة المنهج الذي اتبعوه. فهو بتناصاته يربط بين الماضي والحاضر ليوجه هذا الحاضر توجيهها معيناً.1

فمواجهة الواقع عند "عمار بن ياسر" وأفراد الحركة في الرواية هي هروب إلى التراث، هروب من الواقع، من التفتح، إلى تحويل المنهج الإسلامي المتحرك إلى نظريات جامدة . فقيام دولة بغي التضحية ذلك أن الروائي يؤمن بأن للتاريخ قوانينه التي تتحكم في مسيرته (لا ينبغي تجاهلها ولا بد من الاستفادة من دروس التاريخ).2

فالروائي بتقاطعاته مع التاريخ يخلق شكلاً فنياً يعبر به عن الواقع بقوة، ويمده هذا التاريخ بأدوات فنية يصوغ بها الزمن الحاضر، زمن الرواية، فوطار يرى أن المسافة الفاصلة بين شخصية العصر الحاضر هي ليست دائماً كبيرة جداً ولا وجود للحدود بين الإنسان.3

لقد وجد الشاعر نفسه بين نقيضين: طرف يريد أن ينسلخ من أصالته انسلاخاً كاملاً، وطرف يريد أن يعود بالزمن قروناً منكراً ظروف وشروط العصر. ولكي يعبر عن هذه الفكرة وعدم الفهم الصحيح لشروط التقدم والمرحلة التاريخية استحضرت شخصية "علي بن أبي طالب".

لقد كانت تناصات وطار في فهم عملية التطور التاريخي مع نصوص التاريخ تآلفية في تقاطعها مع شخصية علي، إذ إنه عاش عصراً حافلاً بصراعات عنيفة .

إن وطار حينما أراد أن يدلي بمنهج صحيح وجدّه في شخصية علي ومنهجه المتكامل بين الجانب الروحي والعقلي .

1 السيد قطب، معالم في الطريق، ص45.

2 الطاهر وطار، الشمعة والدهاليز، المرجع السابق، ص97.

3 مجموعة من المؤلفين، دراسات في الأدب والمسرح، ت. نزار عيون السود، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، 1976، د.ط، ص193.

يقول الروائي : (... لن يطول ذلك سيجبرهم الله على ركوب السؤال. ما هذا، لماذا، كيف ؟ وسيضطرون لتجزئ ما لا يتجزأ والتعرف على جينات النملة السوداء والنملة الحمراء ... الله هو العقل).1.

إن تقاطعات وطار مع النص التاريخي كان تناصاً تألفياً في اعتقاده بمنهج علي؛ منهج يجمع بين العقل والروح وشخصية تتفهم الأمور، وتحسم الثورة على الاستبداد من أجل التغيير، وتؤمن بتطور التاريخ من أجل تعميق إنسانية الإنسان.

لقد مثل علي معان اجتماعية عميقة الجذور في حياة الأفراد والجماعات وإن غلفت بمعان دينية (يغسل كل مساء بيت مال المسلمين حتى لا يبيت متسخاً بوسخ الدنيا) 2 ، ومنها كان المنطلق في الفهم الصحيح، وهذا ما أراده وطار ، أن الثائرين عبر الأزمنة ؛ عمار بن ياسر ، علي بن أبي طالب والشاعر في الرواية كلهم أدوا دوراً واحداً هو النضال في سبيل التغيير .

لقد كان تناص الطاهر طار تألفياً لأن مواقف هذه الشخصيات تتناسب مع ما يذهب إليه الروائي .

المبحث الثالث: التناص مع التراث الإنساني : الأسطورة والتراث الشعبي

3. التناص مع الاسطورة

إن المتأمل في رواية "الشمعة والدهاليز"، يحس أن النص فيه امتداد إنساني روحي، خارج الزمن الحاضر فهو رحلة كبرى في متاهة ؛ سفر يجمع الميثولوجي والجذور الملتحفة بطيات التاريخ ووقائع الآني، لقد تناص خطاب الشمعة والدهاليز مع المتاهة كعودة إلى البدايات

1-الطاهر وطار، الشمعة والدهاليز، المرجع السابق، ص146.

2مجموعة من المؤلفين، دراسات في الأدب والمسرح، المرجع السابق، ص 196..

الأولى، وكربط بين مشروعين هما المشروع الفلسفي بوصفه منبعاً للرؤى الأخلاقية، والمشروع الجماعي الذي يعيد الحوارية، أي صوت الآخر وصورته.1

إن العالم الذي تعيشه الرواية؛ عالم يكتنفه التناقض وتتسع ثغراته وفجواته إذ أصبح القلق سمة لعالم متناقض متصارع يشكو الإرهاق؛ والتمزق بين الأديان واللغات ووضع اقتصادي متأزم؛ فكانت ضبابية الرؤية. والأسطورة أحد منابع اللاشعور، بالإضافة إلى أنها النص المشترك بين الإنسانية جمعاء؛ وهذا النص يعود إلى أصل واحد: وهي النماذج العليا.2

وبما أن وطار له إنصات دؤوب لعمق المجتمع ليعبر عن أسباب التشويه والمتهات التي أصابته، لجأ إلى الأسطورة التي تقوم أساساً على الصراع بين اليأس والأمل؛ كما في عنوان الرواية

(الشمعة) واليأس المتمثل في (الدهاليز) وهذا كله للوصول إلى الخلاص. فكان الملجأ الأسطورة لأنها لفت موضوع الرواية 3 ، فجاءت لتعالج قضايا اجتماعية سياسية لها البعد الوطني والإنساني الذي يراعى عند كل فنان إحساسه بالشعبية؛ لأن وطار وجد في الأسطورة لغة الصراع للحياة التي تعيشها أجواء روايته وتحياها شخصها.ولذا تناص وطار مع العالم الأسطوري من خلال امتصاصه لمعاني أسطورة (*) متاهة 4.

1 –Zahra A. H. Ali, Modernism Subverted: A Study of Embedding The Odyssey in Iris

Murdoch's,The Sea, The Sea, ANNALS, Kuwait, University, V.M 19,1998– 1999, p7.

2إبراهيم رمانى، الغموض في الشعر العربي الحديث، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1991، ص287..

3 – V. Simone FRAISSE, le mythe d'Antigone, librairie Armand Colin, Paris, 1974, p8(3

4أوفيد: مسخ الكائنات، الكتاب الثامن، تر: ثروت عكاشة، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1971، ص230.

Petit Robert: du nom propres, Paris, 1994, p 114

وينظر:

(*) أريدياني بنت مينوس، الذي سحرت بحب ثيسوسالذي جاء إلى مدينة كريت ليحارب الوحش وبمساعدهتها نجا من الموت، أعطته كبة خيط فكان الخيط يرافقه حيثما تاه ونتيجة لذلك كان هذا الخيط معلماً يهتدي به إلى النور (الخروج من المتاهة).

إن الكاتب بفضل امتصاصه لمعاني الأسطورة يولد صورة عميقة لتجربته ، فأسطورة "المتاهة" تتعدد دلالاتها بحيث تتميز بالامتلاء فهي لا تقف على مغزى بل أكثر من واحد¹ فإذا نحن وقفنا عند الرمز "الدهاليز" الذي يرمز له بالظلام، وبالغموض وبضبابية الرؤية وبالكهوف وبالسرديب وبالمتاهات، فهي تجمع أكثر من مستوى من الدلالة. إن لفظة "الدهاليز" لها معنى في نطاق التجربة الخاصة لوطار ، وتلخص تجربة إنسانية شاملة ممتدة ، ولذا عبر بها عن كل ما يربطه بواقعه، بنفسه وبالكون ككل. وهذه العلاقات هي التي تعطي معاني الأمل أو اليأس، النور أو الظلمة، الرفض أو الاستسلام.... إلخ.

فأعباء التعبير عند وطار يتقاسمها الفردي والجماعي وبخاصة إن الجمعي هو الذي يأخذ من اهتمامه الكثير وبذلك فهذه اللفظة "الدهاليز" التي تعبر عن المتاهة قد حملت أعباء التعبير عنه؛ لأن الأسطورة كأسلوب نثري يكتشف فيه الناس المعنى الذي ما زال يعينهم²، وبذلك أضحت الرواية واقعة إنسانية عامة ذات مغزى رمزي.

فاعتماد وطار العودة إلى طبيعة الدهاليز وتحليلها لا يعرض الوقائع فقط بل يفسر ويشرح كل ظاهرة تفسيراً تاريخياً وإظهار صلتها بالماضي، ومدى تأثيره على الحاضر والتصوير الصادق من الناحية الموضوعية والفنية.

فكان البحث عن الحقيقة داخل متاهة كبرى بحلم ضعيف هو الشمعة . فالمتاهة لا تشير إلى معنى محدد بل يضيع فيها الإنسان بين التمزق الديني واللغوي والسياسي، ليس على المستوى الوطني فحسب بل على المستوى العربي، الإفريقي والآسيوي؛ تلك المتاهات التي قال عنها وطار على لسان الشاعر: (إنها تفاصيل التفاصيل، أدخل القضية أو المسألة الواحدة، ملايين إن لم تكن ملايين القضايا، بدون تحليلها والوقوف عليها، كلها لا تجد باباً في دهليز القضية التي أنت بصدد اقتحامها. بل إن سرديب تفتح أمامك فتروح تنزل مدفوعاً

1 عز الدين إسماعيل، الشعر العربي المعاصر، قضايا وظواهره الفنية والمعنوية، دار العودة، بيروت، ط3، 1981،

2 V.Simone FRAISSE, le mythe d'Antigone, p6.

بقوة ما لا تدري ماهيتها وكما اقتحمت سردابا وجدت نفسك في دهليز آخر يفتح على سراديب، تمتصك فتتزل وتتنزل لا إلى مكان إنها لدهاليز وسراديب ممتصة أخرى) 1.

فوطار يستغل أسطورة المتاهة كروية فنية رمزية يثري بها البناء الروائي 2 ليعبر عن ثنائية "النور والظلام" ولذا فإن ذاكرته النصية تمتد إلى التراث الإنساني ومنه يتم عبر التناصات توليد النص الجديد عن طريق الهدم وإعادة البناء من جديد 3 للواقع الذي يتطلبه المنهج الاشتراكي حيث مسؤولية البطل في إمداد الماضي بالحاضر والمستقبل.

إنه تحاور مع نصوص من شأنه أن يوسع معنى المتاهة في خدمة رؤيته التي تبحث عن الأسباب وفق النظرية الماركسية، من امتصاصه لأدوات تعبيرية وهي الأسطورة من أجل أن يجعل القارئ يتفهم عمله؛ فالأسطورة تضي معنى فلسفيا على الوقائع، لأنها تضم معنى التنظيم ومن غيرها تظل التجربة الروائية ممزقة 4.

المتاهة كلها تتحدث عن مجموع التناقضات التي مردها إلى غياب العنصر الفعال في التغيير؛ فجدلية التغيير والحركة التي يتبناها الروائي وطار تتجاوز المتاهة والاعتراب حينما تكتشف الذات حقيقتها؛ فالمتاهة تنتهي بإدراك الذات للحل المناسب وهي وعيها بصلتها وبالواقع وأن البيئة الاجتماعية هي من صنع تحركها 5

إن الغايات التي ينشدها "الكاتب" متعددة في توظيفه للأسطورة، ولعل أهمها تقديم نموذج يحتوي على معنى المغامرة وتجربة مسبقة، ويوجه الفعل نحو المستقبل، هذا النموذج الذي يعيشه بطل روايته، كي يؤثر في القارئ حتى يضم صوته إلى الكاتب في إعادة بناء رؤية جديدة للعالم وتشكله.

1 الطاهر وطار، الشمعة والدهاليز، مرجع سابق، ص 10.

2 - V. Simone FRAISSE, le mythe d'Antigone, p6.

3شكري عزيز الماضي، في نظرية الأدب، دار البرهان للنشر، مصر، 1993م، ص 206.

4عز الدين إسماعيل، الشعر العربي المعاصر، دار المسيرة للنشر، لبنان، 2000م، ص 228.

5عبد الفتاح إبراهيم، الاجتماع والماركسية، دار الكتاب الحديث، مصر، 2008م، ص 230.

ولا يعدم عمل التناص مع التراث ما يحققه من جماليات تظهر في التدايعات 1، فتوحي كلمة "الشمعة" لكل ما هو رمز للوضوح، للعطاء، للاتصال، للعلم، للنضال، للحلم والأمل، بينما توحي "دهاليز" لكل ما هو عائق في وجه النور والنضال والتغيير، وهو بهذا أضاف عمقا لروايته 2 لأن من جراء التدايعات يزيد في تعميق معنى الدهاليز وزيادة الانفعال والإحساس بها.

بل إن المتاهة تبدو أكثر عمقا حين يصبح "الشاعر البطل" المثقف يؤمن بالاستحضار - وبعض الخرافات عند الشيوعيين- والتجلي وبذلك استطاع الكاتب أن يستدعي أسطورة المتاهات ويزاوجها بالتراث الصوفي، مما أعطى الأبعاد الجمالية السابقة.

4. التناص مع التراث الشعبي : المثل

المثل 3 شكل من الأشكال التعبيرية الأكثر انتشارا و شيوعا بين الناس، على مختلف أعمارهم ومستواهم وجنسهم. فهو عبارة عن (حكم جمعت في تعابير تمتاز بالإيجاز والبلاغة والنوق، وهي تدخل في جميع مظاهر الحياة ... فهي صالحة لكل زمان ومكان، لأنها نتيجة تجارب اجتماعية أو فردية. وهي خلاصة حقائق حضارة المجتمع الإنساني، أي تكاد تكون حقائق إنسانية شاملة) 4

إن الحديث عن تناص الروائي مع التراث الشعبي وتقاطعاته معه من خلال المثل هي حاجة ملحة تفرضها القيم الثقافية والفكرية الأصلية للشخصية الوطنية.

فهذا الشكل التعبيري مرتبط بآمال الشعوب وآلامها، إنه الوعاء الجمالي لروح الشعب، يصور حركته الاجتماعية والثقافية والفكرية 5.

1 عبد الرضا علي، الأسطورة في شعر السياب، دار الرائد العربي، لبنان، ط2، 1984، ص93.

2 نفسه، ص93.

3 محمد المرزوقي، الأدب الشعبي في تونس، الدار التونسية للنشر، تونس، 1967، ص 33

4 محمد سعدي، الأدب الشعبي بين النظرية والتطبيق، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1998، ص 11.

5 الطاهر وطار، الشمعة والدهاليز، مرجع سابق، ص18.

1) الزيت من الزيتون والحوت من البحر: عنوان للانتهازية.

يضرب هذا المثل لأخذ الأمور من أصلها ومنبعها؛ فالزيت كمادة سائلة نتحصل عليها من الزيتون، بعد عصره، والحوت يصطاد من البحر؛ فهذا أمر بديهي لا يحتاج إلى ذكاء. لكن وطار قد تناص مع المثل تناصا تخالفيا، بحيث جعله يوافق معنى روايته، حيث أراد "وطار" أن يعبر عن فكرة الانتهازية وهي أخطر ظاهرة متفشية في الوسط الاجتماعي. فربط هذا المعنى بالمثل، حيث إن شجرة الزيتون لا تحتاج إلى جهد وعناية لتثمر، كذلك فالانتهازي لا يبذل جهدا في الحصول على مبتغاه ورزقه، والحوت من البحر، ملك مشاع للجميع، فهو شبيه بكل ما هو مباح عند الانتهازيين الذين يستباحون أموال الشعب التي هي حق للجميع.

إن مثل هذا التناص يكشف عن تأكيد وطار على خطورة هذه الظاهرة. فليس التكرار من أجل التكرار، بل هو تأكيد على خطورة هذه الظاهرة، وعلى ضرورة الانتباه إليها والسعي للقضاء عليها، فهو تتبع جذورها من أيام الثورة، التي عبر عنها بالمثل، و بالحوار: (اللاز قال: زيدان يفرق بين الناس وينظر إليهم نظرات مختلفة ويعاملهم معاملات خاصة ... حاول مرة أن يفهمني فقال : في الحياة نوعان من الناس، نوع يعرق مثلك ومثل كل العمال والعاطلين، ونوع يستفيد من هذا العرق ... وما لم يتحطم النوع الثاني فإن عرق الإنسانية يظل يسيل هدرا، مصلحة كل نوع تتعارض مع مصلحة النوع الآخر ولهذا فهما عدوان لدودان ...)1. فالمثل ليس حكرا على فئة معينة، بل هو يخاطب جميع الفئات. لذلك فوطار يتناص معه لأنه يعكس حياة المجتمع كما يعكس فلسفة تفكيره ، وسلوكه، ومعتقداته وثقافته.2

1الطاهر وطار ، اللاز ، دار الخلدونية للنشر والتوزيع ،الجزائر، 2007م، ص 107.

2عبد المالك مرتاض ، عناصر التراث الشعبي في رواية اللاز ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1984 ، ص

فالانتهازية تصور وسلوك، تهدد مصالح الجماهير وبالتالي مصالح الثورة، تعيش على حساب الآخرين (أنظر حولك ! بأموال الشعب، التي يسمونها أموال الثورة، يستوردون أفخم السيارات، يملأونها مجاناً بالبنزين ثم ينطلقون هم وسواقهم ونساؤهم وأطفالهم. كيف تريدون أن يفكروا فينا، نحن بعد ذلك، أو في الحافلات التي تضح بنا).1

إن في تناصات وطار مع المثل دليل على امتلاك الأديب لشعور قوي يربطه بالمجتمع، وهو أول شرط في الإيديولوجية الاشتراكية. فانتماؤه للمجموعة يجعله يضع يده على المشاكل الحساسة التي تثقل كاهل الشعب.

فالمثل كأداة كلامية يتناص فيها المؤلف، ليضمن وصول رسالته التي يبثها من خلاله. فالمثل لا يعيش بعيداً عن الظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية، بل يعيش وسطها، وربما هي التي تمنحه حق الاستمرارية، لأنه ما يزال يحمل القدرة على التعبير عنها.

ولغة الشخصيات لم تكن بعيدة عن لغة المثل، فهي أكثر التصاقاً بالواقع ومعرفة به، وأشد من تأدى بهذا الواقع، فلذلك فتناصات وطار من خلال المثل تعكس فلسفة تفكير شخصياته حين تتلفظته عبر الروايات، أو المناسبة التي أثير حولها.2

فالظاهر وطار يتناص ذاتياً كذلك في ترديد المثل، كما يتناص في محتواه الإيديولوجي وهو الحديث عن الانتهازية وكشفها باعتبار أن كشف الحقيقة معناه التغيير، والتغيير الكاشف والرافض يعد من أفعال الثورة؛ الرافض أهم وسائل الثورة وهو من أهم وسائلها.3

إن تناصات وطار تكشف عن نيته وقصده في عملية بث هذا المثل، فبالإضافة إلى الحكمة التي يطلق من أجلها، فهو أيضاً نقد سلوكي يريده ليرتبط بالموضوع الذي استدعى المثل

1 الطاهر وطار ، تجربة في العشق ، دار الهدى للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 2009م، ص 93.

2 عبد المالك مرتاض ، عناصر التراث الشعبي في اللاز ،، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 2009م، ص 68

3 سلمان نور ، الأدب الجزائري في رحاب الرفض دار الخلدونية للنشر والتوزيع ،الجزائر، 2007م، ص 250.

لأجله. فهو ينبه الغافلين إلى الانتهازية التي تتدعي خدمة الجماهير؛ إنها الانتهازية الشريفة كما تدعي: (الانتهازية الشريفة كما يقول لنين هي أخطر الانتهازيات)¹

فالخطاب الإيديولوجي الذي يتناص فيه وطار من خلال المعنى الذي حمله المثل، فهو نقد موجه إلى المجتمع، لمحاربة مثل هذه السلوكات، وتنبية لمن يجهل الأمر للحفاظ على استمرارية الثورة ومكتسباتها، فهو يخاطب الجماهير باللغة التي تفهمها والتي تعبر عنها بصدق.

(2) من ولى على الجرة تعب²: عنوان للتناقض بين الماضي والحاضر.

يضرب هذا المثل لمن يعود إلى اجترار الماضي بالذكريات؛ فالجرة هي الأثر؛ أو تتعب الأثر، أي استقصاء الطريق الذي سلكه الإنسان؛ والعودة دائما تحمل معها الآلام، تتعب الإنسان بسبب هذا الماضي. وسواء أكان هذا الماضي محزنا سقط الإنسان حينها فريسة للظروف والمصاعب فيتألم لما أصابه، أو مفرحا؛ حين يسترجع الإنسان فترات قوته وسعادته ويقارنها بالحاضر فيجزع ويحزن للوضع الذي آل إليه. لذلك فالعودة دائما تتعب الإنسان.

والظاهر وطار قد ضمن رواياته هذا المثل، كما ضمنها في رواية "الشمعة والدهاليز"، وهذا تناص ذاتي؛ فالتناص عنده يمليه الواجب ومسؤولية إثبات الذات وتحديد هويتها في خضم هذا التهاافت الفكري والسياسي والثقافي والإيديولوجي.

إن الروائي تناص مع المثل تناصا تآلفيا من حيث المعنى؛ لأن الشخصية الروائية التي أطلقت هذا المثل عاشت أحداث الثورة، وهي شخصية (والد الشاعر: إسماعيل)، فلاستذكار الماضي يستدعي توقفا كاملا، لأن هذا الورا جبال من الهموم والآلام، وجراح ومتاعب من بطولات وانكسارات، ولذا يستغرب الإنسان هذه العودة إلى المبادئ التي تلوثت بدم هؤلاء المضحين، لأن المبادئ الثورية التي آمنوا بها، ومقارنة الوضع الماضي بالحاضر يتعب

¹الطاهر وطار ، العشق والموت في الزمن الحراشي ، دار الخلدونية للنشر والتوزيع ، الجزائر، 2007م، ص 72.

²الطاهر وطار ، الشمعة والدهاليز ، مرجع سابق ، ص 77.

الإنسان من جراء هذه العودة؛ لأنه سيرى أموراً تسير في غير موضعها، وأشخاصاً في غير أمكنتهم؛ فهذه الجرة المتعبة، يقول: (... وليكن قاطع الطرقات السابق محافظ شرطة الآن، يحمي أمن البلاد، والعباد وليكن قاتل الأرواح في الماضي إمام مسجد الآن)¹ ، إنها مأساة الثوري حينما يجد كل شيء مقلوباً.

لقد جاء هذا المثل -الذي يمثل الماضي الثوري- على لسان إسماعيل المجاهد، الذي واكب الثورة منذ صباه، لكن كل ما عمله وقام به في الماضي ولى مع الماضي كما يقول بسرعة خارقة، والذي أحرزه من سمعة ثورية فات، كما فات الماضي نفسه.

إن إدراك الحياة والوعي بجوانبها، هو الذي جعل شخصية مثل "إسماعيل" المجاهد ومن مثله أن يكونوا لأنفسهم أسلوباً للتعبير عن متطلبات الحياة وحاجاتها الخاصة، والتعبير عن أحلامهم وآلامهم، وإبراز الجوانب الإيجابية والسلبية من الحياة. فلجأت هذه الجماعة ولجأ إلى استعمال هذا المثل من حيث لغته الموحية وغرضه الثاقب وهو "من ولى على الجرة تعب" في أدق العبارات الموجزة والمبلغة أدى سياقاً جمالياً وفكرياً².

إن هذا المثل ينساق مع الشخصية المرددة له، فهو يعكس أفكارها وثقافتها وسلوكها كما يعكس فلسفة التفكير لديها ، ولدى الروائي . فهذا المثل يعمل على تثبيت القيم ومن جهة أخرى ينتقد الحاضر الذي يتناقض مع الماضي (جيلاً يحمل هذه السمة التي يحفظها لها التاريخ ويظل الإحساس بالذنب يلزم هذه الأجيال مستمراً مع اقتسام التركة)³.

إن وظيفة المثل "من ولى على الجرة تعب" عند الكاتب من جهة تعمل على تثبيت القيم والثوابت الثورية، والقيم الاعتقادية، وتوجه سياسياً وإيديولوجياً إلى معرفة حقيقة الماضي الثوري ومن جهة أخرى تنتقد الحاضر الذي يتناقض مع الماضي.

1 الطاهر وطار ، الشمعة والدهاليز، مرجع سابق ، ص 78

2 محمد مرزوق ، الأدب الشعبي في تونس ، مرجع سابق ، ص 33.

3 الطاهر وطار ، الشمعة والدهاليز، مرجع سابق ، ص 78.

هذا الحاضر يرضى بالتواطؤ. وسيصبح جيلا يحمل هذه السمة التي يحفظها له التاريخ، ويظل الإحساس بالذنب يلزم هذه الأجيال مستمرا مع اقتسام التركة¹ كما يقول الكاتب. فالرجوع على الجرة عند "إسماعيل" وغيره يتعذر ويتعب لأن الجرة تحمل صرخات التناقض الصارخ بين الماضي والحاضر.

لقد اختصر المثل كلما أراد وطار أن يبيته في رسالته في كلمات جامعة وبلغية، قريبة من فهم جميع المستويات، موجها وناقدا، وكانت هذه الأمثال بمثابة خطابات إيديولوجية حملها وطار أفكاره. وفي الوقت نفسه كشفت لنا عن روافده وما كانت هذه التكرارات إلا تأكيد لقضية جماهيرية بالغة الأهمية بالنسبة للمسيرة الوطنية، وتأكيد على المعوقات التي تقف دون تطورها.

¹المصدر نفسه ، ص 78.